

برنامج رمضانى مسئوحى من الهلى
النوى على صاىبه أفضل الصلاة وأتم

الشلىم

د. نوال بنت عبد العزىز العىد

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج رمضاني مرسوم على النهج النبوي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:
رمضان شهر يرتقبه المؤمنون، لأنه موسم الطاعات، فيه تقال العثرة، وتغفر الزلة،
ويزاد في الأجر، رمضان فرصة للهداية، وموسم للتغيير.

وسأطرح بين يديك في هذه الورقات:

- رمضان فرصة وموسم: أتأمل وإياك فضائل رمضان كما جاء في كتاب الله،
وصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، واقفين على الفوائد والمعاني .
- البرنامج الرمضاني المقترح المستقرء من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسيرته العطرة.

أولاً: رمضان فرصة وموسم:

١ / ألم يستوقفك اختيار الله لشهر رمضان من سائر الشهور لإنزال جميع كتبه وليس القرآن فحسب؟! في مسند أحمد وصححه الألباني^١ من حديث واثلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان" وفي كتاب الله: "شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ" وقوله: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ" وقوله: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ" وفي هذا كله أن أفضل الأوقات لتربية النفس وتهذيبها وتزكيتها شهر رمضان، كما أنه موسم للهداية، ألم يقل الله عنه (وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) وقف مع كلمة (ما هداكم) لأنه في رمضان يشعر الذين آمنوا بقيمة الهدى الذي يسره الله لهم، وهم يجدون هذا في أنفسهم في فترة الصيام أكثر من كل فترة، مكفوفو القلوب عن التفكير في المعصية، ومكفوفو الجوارح عن إتيانها، وشاعرون بالهدى ملموساً محسوساً ليكبروا الله على هذه الهداية، وليشكروه على هذه النعمة، ولتفيء قلوبهم إليه بهذه الطاعة، كما قال لهم في مطلع الحديث عن الصيام: { لعلكم تتقون }.

٢ / رمضان مدرسة يتعلم فيها المؤمن تقوى الله، ويتربى على مراقبته، ففي اليوم شديد الحر لا يمنع من جرعة ماء إلا مراقبة الله، فلنحقق هذا المقصد في جميع سلوكياتنا، تأمل " كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون "

٣ / تأمل معي أجر الصيام (جنة من النار)، وفي رواية لأحمد (وحصن حصين من النار)، علك تتساءل لم؟! قال ابن العربي: إنما كان الصوم جنة من النار؛ لأنه إمساك

^١ الصحيحة برقم (١٥٧٥)

عن الشهوات، والنار محفوفة بالشهوات، فالحاصل أنه إذا كف نفسه عن الشهوات في الدنيا كان ذلك ساترا له من النار في الآخرة.^١ فيا أرض الهوى ابلعي ماءك، ويا سماء النفوس أقلعي...، مدت في هذه الأيام موائد للصوام، فما منكم إلا دعي.^٢

٤ / للطاعات يوم القيامة رائحة تفوح، للصيام بينها ريح المسك، تأمل ما جاء في البخاري: "خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك" زاد مسلم: "أطيب عند الله يوم القيامة" والخلوف رائحة فم الصائم المتغيرة، ويؤخذ من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك" أن الخلوف أعظم من دم الشهادة لأن دم الشهيد شبه ريحه بريح المسك، والخلوف وصف بأنه أطيب^٣.

٥ / اختص الصيام من بين سائر الأعمال بأنه لله كما في الحديث القدسي (إلا الصيام فإنه لي، وأنا أجزي به) لأسباب عدة منها:
أن الأعمال قد كشفت مقادير ثوابها للناس وأنها تضاعف إلى سبعمائة إلى ما شاء الله، إلا الصيام فإن الله يثيب عليه بغير تقدير.
وقيل: إن جميع العبادات توفى منها مظالم العباد إلا الصيام. وعن ابن عيينة: إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده ويؤدي ما عليه من المظالم من عمله حتى لا يبقى له إلا الصوم، فيدخله بالصوم الجنة، وفي الحديث عند أحمد: "كل العمل كفارة إلا الصوم، الصوم لي وأنا أجزي به".

وقيل: سبب الإضافة إلى الله أن الصيام لم يعبد به غير الله، بخلاف الصلاة والصدقة والطواف ونحو ذلك.

^١ فتح الباري
^٢ نداء الريان
^٣ ابن حجر في الفتح

٦ / للجنة ثمانية أبواب: ثبت منها: باب الصلاة، والصدقة، والجهاد، والوالد، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وباب الريان يدخل منه الصائمون، وسمي بالريان مبالغة من الري وهو مناسب لحال الصائمين الذين ظمئوا لوجه الله، وفي الحديث الصحيح: " إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد، ومن دخله لم يظماً أبدا"^١.

٧ / أعظم بأجر صيام يوم احتسب المؤمن فيه الأجر، وابتغى به وجه الله، وفي الحديث الصحيح: " ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله تعالى إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً" وفي رواية: " من صام يوماً في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقاً كما بين السماء والأرض " ^٢، ومن معاني: "في سبيل الله" أي: ابتغاء وجه الله.

٨ / استحضر وأنت ترفع التمرة إلى فيك وقت الفطر أن نفحة ربانية من نفحات الكريم في هذا الوقت تهب فاغتنمها .. شرف زمان، وإجابة دعاء وغفران، وعتق من النيران. فالعتق الذي يكون كل ليلة يكون مع الفطر (الله عز وجل عند كل فطر عتقاء) ، وفي الآخر (ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر والإمام العادل ودعوة المظلوم)، فطوبى لمن أجاب فأصاب، وويل لمن طرد عن الباب فخاب.

٩ / المحروم الحقيقي من حرم بركة هذا الشهر، وفي الحديث الصحيح (إن هذا الشهر قد حضركم وفيه ليلة خير من ألف شهر من حرمها فقد حرم الخير كله ولا يحرم خيرها إلا محروم) ^٣، إن تكرار تصريح الحرمان أربع مرات لتأكيد على معنى المحروم من لم يوفقه الله لقيام ليلة القدر، وأن قيامها يحتاج إلى الاستعداد لها من أول الشهر، فتأمل.

^١ صحيح الترغيب
^٢ صحيح الترغيب
^٣ صحيح الترغيب

١٠ / كل ما في الكون يتغير في رمضان، ففي صحيح البخاري: "إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فَتَحَّتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلِّسَتْ الشَّيَاطِينُ" زاد الترمذي: "وينادي مناد(وفي رواية ملك) يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، والله عتقاء من النار وذلك كل ليلة"

* وفي الحديث وقفات:

- لماذا تفتح أبواب الجنة، وتغلق أبواب النيران في رمضان؟
والجواب: حمل الحديث على ظاهره وحقيقته، وأن ذلك كله علامة للملائكة لدخول الشرِّ وتَعْظِيمِ حُرْمَتِهِ وَلَمْنَعِ الشَّيَاطِينِ مِنْ أَدَى الْمُؤْمِنِينَ.
قيل: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ إِشَارَةً إِلَى كَثْرَةِ الثَّوَابِ وَالْعَفْوِ، وَيُؤَيِّدُ هَذَا رِوَايَةَ مُسْلِمٍ "فَبِحَتِّ أَبْوَابِ الرَّحْمَةِ"

وَالأَوَّلُ أَوْجَهُ، وَلَا ضَرُورَةَ تَدْعُو إِلَى صَرْفِ اللَّفْظِ عَنْ ظَاهِرِهِ. وَأَمَّا الرَّوَايَةُ الَّتِي فِيهَا "أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ وَأَبْوَابُ السَّمَاءِ" فَمِنْ تَصْرُفِ الرَّوَاةِ، وَالأَصْلُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ بِدَلِيلِ مَا يُقَابَلُهُ وَهُوَ غَلَقَ أَبْوَابِ النَّارِ.

- فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ نَرَى الشُّرُورَ وَالْمَعَاصِيَ وَاقِعَةً فِي رَمَضَانَ كَثِيرًا فَلَوْ صُنِّدَتْ الشَّيَاطِينُ لَمْ يَقَعْ ذَلِكَ؟
فَالجَوَابُ: أَنْ الْمُصَنِّدَ بَعْضَ الشَّيَاطِينِ وَهُمْ المَرْدَّةُ وَجاء في رواية ابن خزيمة(سلسلت
مردة الجن)

أَوْ المَقْصُودُ: تَقْلِيلُ الشُّرُورِ فِيهِ، وَهَذَا أَمْرٌ مَحْسُوسٌ فَإِنَّ وَقُوعَ ذَلِكَ فِيهِ أَقَلٌّ مِنْ غَيْرِهِ، إِذْ لَا يَلْزَمُ مِنْ تَصْفِيدِ جَمِيعِهِمْ أَنْ لَا يَقَعْ شَرٌّ وَلَا مَعْصِيَةٌ؛ لِأَنَّ لِدَلِيلِكَ أَسْبَابًا غَيْرَ الشَّيَاطِينِ كَالنُّفُوسِ الخَبِيثَةِ وَالْعَادَاتِ القَبِيحَةِ وَالشَّيَاطِينِ الإِنْسِيَّةِ. قال شراح الحديث: وَفِي تَصْفِيدِ الشَّيَاطِينِ فِي رَمَضَانَ إِشَارَةٌ إِلَى رَفْعِ عُذْرِ المُكَلَّفِ، كَأَنَّهُ يُقَالُ لَهُ: قَدْ كُفَّتْ الشَّيَاطِينُ عَنْكَ فَلَا تَعْتَلِّ بِهَمْ فِي تَرْكِ الطَّاعَةِ وَلَا فِعْلِ المَعْصِيَةِ، فَإِنْ اسْتَمْرَيْتَ عَلَى المَعَاصِي فَلَخِبْتَ نَفْسَكَ.

-وفي الحديث رحمة الله بعباده، ولطفه بهم، فمع خيره العظيم بفتح أبواب الجنة وغلق أبواب النار، يأمر ملكا أن ينادي كل ليلة نداء تسمعه قلوب المؤمنين وبصائرهم (ياباغي الخير أقبل وياباغي الشر أقصر).

١١ / في رمضان ليلة القدر ليلة خير من ألف شهر، (وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطَلَعِ الْفَجْرِ (٥)) فيها تضاعف الأعمال حتى تربو عن عبادة نيف وثمانين سنة، يقول الشيخ السعدي: " تعادل من فضلها ألف شهر، فالعمل الذي يقع فيها، خير من العمل في ألف شهر خالية منها، وهذا مما تتحير فيه الألباب، وتدهش له العقول، فمن رحمته تبارك وتعالى على هذه الأمة الضعيفة القوة والقوى، بليلة يكون العمل فيها يقابل ويزيد على ألف شهر، عمر رجل معمر عمراً طويلاً نيفاً وثمانين سنة".

١٢ / لفت نظري أثناء قراءتي لآيات الصيام في سورة البقرة قول الله تعالى : (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلمهم يرشدون) مما جعلني أتساءل عن حكمة إيراد هذه الآية في معرض ذكر شهر رمضان وليالي الصيام، وماذاك إلا لإرشاد العباد بأن شهر رمضان من أعظم الفرص لإجابة الدعاء، وأن هناك صلة وثيقة بين رمضان والإجابة، وما أعظم هذه الآية لمن تأملها ففيها إضافة العباد إلى الله (عبادي)، والرد المباشر عليهم منه إذ لم يقل: فقل لهم إني قريب، إنما تولى بذاته العلية الجواب على عباده بمجرد السؤال (قريب) ولم يقل: أسمع الدعاء ، إنما عجل بالإجابة: "أجيب دعوة الداع إذا دعان"، إنها آية عظيمة تسكب في قلب المؤمن الود المونس، والرضى المطمئن، والثقة واليقين، لكن للإجابة شروط ينبغي للسائل أن يتأدب بها ويلتزمها (فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلمهم

يرشدون) فاستجابة الله للعباد مرجوة حين يستجيب العباد له، ولا شك أن من استجاب لله سيحصل له الرشد الذي هو الهداية للإيمان والأعمال الصالحة، وما أجل أن يرى الصائم أثر طاعته وحبس نفسه في قربه الخاص من ربه، وتحقيق الله له مراده، أخرج البيهقي بسند صحيح من حديث أبي هريرة مرفوعا: (ثلاث دعوات مستجابات : دعوة الصائم ، ودعوة المظلوم ، ودعوة الصائم) وروى البزار عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله تبارك وتعالى عتقاء في كل يوم وليلة — يعني في رمضان — وإن لكل مسلم في كل يوم وليلة دعوة مستجابة) وصحح الحديث الألباني ، ومن ظاهر النصوص النبوية يُلاحظ أن أخرى وقت للإجابة وقت الفطر ، وقد روي " إن للصائم عند فطره دعوة لا ترد " وماذاك إلا لأن هذا الوقت وقت الكرم الإلهي الذي يوجد فيه الرحيم الكريم بعثت العباد من النار وفي سنن ابن ماجه بسند صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن لله عند كل فطر عتقاء وذلك كل ليلة " فهل مشاعر الإيمان والرجاء تتحرك في وقت الفطر لتستشعر النفحات الإلهية والكرم الرباني فتردد من قلب محبت خاشع اللهم اجعلنا من عتقائك من النار ، أم أن معترك الحياة و صخب العمل قد أخذ منا كل مأخذ فتجد السيدة في مطبخها قد اشتغلت بإعداد مائدة الإفطار ، والرجل قد خالط عينه النعاس ، أو أنه أمام القنوات قد اشتغل بمتابعة البرامج والأحداث ، والصغار والكبار في شغل عن سويغات قصيرة يتجلى فيها كرم الرب وغفلة العبد ، إن علينا أن نعد أنفسنا لاستغلال المواطن التي ترجى فيها الإجابة لنسأل الكريم ونحن موقنون بأن الله تعالى يستحي أن يبسط العبد إليه يديه يسأله فيهما خيرا فيردهما خائبين كما أخرج ذلك الترمذي عن رسول الله ، وموقنون أيضا بحديث عبادة بن الصامت عن رسول الله : " ما على ظهر الأرض من رجل مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة إلا أتاه الله إياها ، أو كف عنه من السوء مثلها ، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم " لكن علينا أن

لانعجل لأن الله سبحانه يقدر الاستجابة في وقتها بتقديره الحكيم الذي هو عين الصواب والحكمة ، يقول ابن القيم : " وإذا اجتمع مع الدعاء حضور القلب وجمعه بكليته على المطلوب وصادف وقتنا من أوقات الإجابة الستة ، وهي : الثلث الأخير من الليل ، وعند الأذان ، وبين الأذان والإقامة ، وأدبار الصلوات المكتوبات ، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضي الصلاة ، وآخر ساعة بعد العصر من ذلك اليوم ، وصادف خشوعا في القلب وانكسارا بين يدي الرب وذلاله وتضرعا ورقة واستقبل الداعي القبلة ، وكان على طهارة ، ورفع يديه إلى الله تعالى ، وبدأ بحمد الله والثناء عليه ، ثم بالصلاة على محمد عبده ثم قدم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار ، ثم دخل على الله ، وألح عليه في المسألة ، وتملقه ، ودعاه رغبة ورهبة ، وتوسل إليه بأسمائه وصفاته ، وتوحيده ، وقدم بين يدي دعائه صدقة ، فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبدا " تقبل الله من المسلمين دعاءهم ، وحقق للجميع سؤله .

١٣ / رمضان فرصة لمغفرة جميع الذنوب المتقدمة والمتأخرة لمن صحت منه النية، واحتسب الثواب والأجر، ففي صحيح البخاري: "من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه" زاد النسائي: "وماتأخر" وحسن الحافظ هذه الزيادة، وألف في ذلك كتابا: "الخصال المكفرة في الذنوب المتقدمة والمتأخرة" ثلاثون يوما كفيلا بمغفرة جميع ذنوبك المتقدم منها والمتأخر، فهل استشعرت الفضل؟ وقد دعا جبريل وأمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتعاسة لمن دخل عليه رمضان وخرج ولم يغفر الله له، وفي حديث كعب بن عجرة — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: احضروا المنبر فحضرنا، فلما ارتقى درجة، قال: آمين، فلما ارتقى الدرجة الثانية قال: آمين، فلما ارتقى الدرجة الثالثة، قال: آمين، فلما نزل قلنا: يا رسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئا ما كنا نسمعه، قال: "إن جبريل عليه السلام عرض لي فقال بعد من أدرك

رمضان فلم يغفر له، قلت: آمين، فلما رقيت الثانية قال بعد من ذكرت عنده فلم يصل عليك، فقلت: آمين، فلما رقيت الثالثة، قال: بعد من أدرك أبويه الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخله الجنة قلت آمين" يا الله ما أعظم هذا الحديث دعوة خرجت من الروح الأمين، وأمن عليها سيد المرسلين، فياخيبه من أصابته تلك الدعوة.

١٤ / من صام رمضان وقامه أحقه هذا العمل المبارك العظيم عند الله بمرتبة الصديقين والشهداء، وفي الحديث الصحيح: " جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وأديت الزكاة، وصمت رمضان وقمته، فممن أنا؟ قال: من الصديقين والشهداء" صحيح الترغيب.

١٥ / رمضان شهر مضاعفة الطاعات فاستكثر منها، فإنه فرصة العاقل، ألا ترى أن من صامه إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه، ومن قامه إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه، وعمرة في رمضان تعدل حجة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسئل رسول الله أي الصدقة أفضل؟ قال: صدقة في رمضان، فالصيام والقيام والعمرة والصدقة تتضاعف في هذا الشهر كما ثبت في الحديث، فهل من مستكثر، وأما حديث: " من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه" فمنكر وانظر السلسلة الضعيفة للألباني.

١٦ / في رمضان يجتمع للمؤمن الصيام والقرآن شفيعان مباركان، وفي الحديث الصحيح: "الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعتني الطعام والشهوة فشفعني فيه، ويقول القرآن منعتني النوم بالليل فشفعني فيه قال فيشفعان"

وبعد استعراض سريع لما صح في فضائل الشهر، يطيب لنا أن نعيش في برنامج رمضاني مقترح مستوحى من الهدي النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام:

أولاً: للمؤمن تميّز يميزه عن غيره من الناس عند استعداده لمواسم الطاعات، إنه يكمن في نية صادقة تستثمر دق وجل تيك المواسم الحيرة، فتجده يفكر كيف يعمر كل لحظة رمضانية بقربة إيمانية، وليبشر إن كانت نيته صادقة فإنها تبلغ به ما لا يبلغ عمله.

وتأمل المعاني الجليلة في حديث الأعرابي الذي جاء إلى النبي فأمن ثم قال: أهاجر معك فلما كانت غزوة خيبر وقد غنم النبي صلى الله عليه وسلم سبياً فقسم له فأعطى أصحابه ما قسم له وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه إليه فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي صلى الله عليه وسلم، فأخذه فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما هذا؟ قال "قسمته لك" قال: ما على هذا اتبعتك ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى هاهنا -وأشار إلى حلقه بسهم- فأموت فأدخل الجنة، فقال "إن تصدق الله يصدقك"، فلبثوا قليلاً ثم همضوا في قتال العدو فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم يحمل قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم "أهو هو" قالوا: نعم قال "صدق الله فصدقه" ثم كفنه النبي صلى الله عليه وسلم في جنته فصلى عليه. صحيح سنن النسائي

بل إن شرط مغفرة الذنوب في رمضان النية الصادقة والاحتساب، وقد تقدم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه"** يقول الحافظ: **"والمراد بالإيمان الاعتقاد بحق فرضية صومه، وبالاحتساب طلب الثواب من الله تعالى"**.

ثانياً: شهر رمضان شهر القرآن، وقد اختص الله هذا الشهر المبارك بنزول الكتب الإلهية فيه، وفي مسند الإمام أحمد بسند حسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان، و أنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع و عشرين خلت من رمضان" السلسلة الصحيحة.

وفي كتاب الله: " شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ " وقوله: " وَالكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ " وقوله: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ " وكان جبريل يدارس رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن في كل ليلة من ليالي رمضان، وعارضه في السنة التي قبض فيها القرآن مرتين. وفي هذا إشارة إلى أن على المؤمن أن يخص الوقت الذي اختاره الله لبداية نزول كتابه، واختاره لمراجعة ما نزل على رسوله، وفي هذا رسالة لنا معاشر البشر أن نخص ما خصه الله بكثير تلاوة وتدبر وتأمل، واحرص على التدبر لأن بركة القرآن لا تُنال إلا بتدبر كتاب الله...

ولقد كان السلف يستشعرون هذا المعنى وهم يقرءون القرآن، حتى إنهم كانوا يتلقونه تلقي الغائب الغريب لرسالة جاءت على شوق من الحبيب، قال الحسن بن علي عليه السلام: " إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، ويتفقدها بالنهار" ¹.

إنه لشيء عظيم باهر – لو تأملنا – أن يخص الإله الكبير المتعالي مالك الملك سبحانه هذا الإنسان الضعيف الصغير القليل بخطابه وكلامه، وأن يحبه ويمنحه شرف التحدث إليه ومناجاته.

¹ التبيان في آداب حملة القرآن، للإمام محيي الدين النووي، صفحة ٢٨، مكتبة المنار، الأردن.

قال ابن الجوزي - رحمه الله - : "ينبغي لتالي القرآن العظيم أن ينظر كيف لطف الله تعالى بخلقه في إيصال معاني كلامه إلى أفهامهم، وأن يعلم أن ما يقرأه ليس من كلام البشر، وأن يستحضر عظمة المتكلم سبحانه، ويتدبر كلامه"^١.

إنه تشریف للبشر وأي تشریف وكرامة لهذا المخلوق لا تعد لها كرامة؛ قال ابن الصلاح - رحمه الله - : "قراءة القرآن كرامة أكرم الله بها البشر، فقد ورد أن الملائكة لم يُعطوا ذلك، وأنها حريصة على استماعه من الإنس"^٢.

وإنما تكمل هذه الكرامة بقراءة القرآن إذا كان بإخلاص، فإن الإخلاص - كما قال الإمام النووي (رحمه الله) - أول ما يجب على القارئ، فينبغي أن يستحضر في نفسه أنه يناجي الله تعالى^٣.

تأمل أخي المسلم: أن الله تعالى وتقدس أعطاك إذن مناجاته، واعلم أنه بذاك أعطاك سر محبته؛ فالقرآن دليل محبته.

ولأن القرآن هو الدال على الله وعلى محاب الله، فلا جرم أن كانت محبته هي طريق القلب والعقل لمعرفة الله وما يحبه الله، فمنه تُعرف صفات الله وأسمائه، وما يليق به وما ينتزه عنه، وما أمر به وما نهي عنه من الشرائع المفصلة الموصلة إلى محبته ورضاه.

لهذا فإن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ، استجلب محبة الله بتلاوة سورة واحدة وتدبرها ومحبته، هي سورة الإخلاص التي فيها صفة الرحمن جل وعلا فظل يرددتها في صلاته، فلما سئل عن ذلك قال: "لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها". فقال النبي ﷺ: (أخبروه أن الله يحبه)^٤.

^١ مختصر منهاج القاصدين، صفحة ٤٦.

^٢ الإتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، (٢٩١/١)، دار التراث، القاهرة.

^٣ انظر: التبيين في آداب حملة القرآن، للإمام السيوطي، صفحة ٣٨.

^٤ أخرجه البخاري (٧٣٧٥) فتح الباري (٣٦٠/١٣) وأخرجه مسلم (٥٥٧/١) (٨١٣).

فلا بد لمن أحب القرآن أن يحب الله لأن صفته فيه ويجب رسول الله ﷺ لأنه هو المبلغ له. قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "من أحب القرآن، فهو يحب الله ورسوله".

ولا شك أن من أكبر الدلائل على محبة القرآن: السعي إلى تفهمه وتدبره والتفكير في معانيه، كما أن من دلائل خفة تلك المحبة أو عدمها: الإعراض عن تدبره وتأمل معانيه. قال تعالى ذاماً المنافقين على عدم تدبر القرآن: **[أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا]**^١.

إن تدبر القرآن يعالج أمراض القلوب، فهو يسري فيها فيشفيها من أمراضها وينظفها من أضرارها، ويجب على الشبهات والنزغات التي يمررها على تلك القلوب شياطين الإنس والجن.

[أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ...] قال القرطبي: "عاب المنافقين بالإعراض عن التدبر في القرآن والتفكير فيه وفي معانيه"^٢.

وإنما جعل عدم التدبر عيباً، لأن من لا يتدبر القرآن، كأنما لا يهتم بحال قلبه، ولا يأبه بسلامته ونظافته، ولا يعمل حساباً لعواقب ذلك في العاجل والآجل، بينما يحسب المتدبر لكتاب الله حساب كل هذا ويطالع في عواقب كل هذا، فذلك هو المقصود أصلاً من التدبر.

قال الرازي: " التدبير والتدبر، عبارة عن النظر في عواقب الأمور وأدبارها"^(٣)

ثم إن تدبر القرآن هو الطريق إلى إدراك معانيه وفهم مراميها التي هي أصل تكاليف الدين. ومعرفة تكاليف الدين واجبة وجوب العمل بها ولهذا كان تدبر القرآن واجباً

^١ (النساء: ٨٢)

^٢ الجامع لأحكام القرآن، المعروف بـ (القرطبي) لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٢٩٠ / ٥) الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.

(٣) التفسير الكبير، المعروف بـ (تفسير الرازي لفخر الدين الرازي (١٠٦/١٠) دار الكتب العلمية بيروت.

من واجبات الدين. قال القرطبي: " دلت هذه الآية وقوله تعالى : [أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا] ^(١) على وجوب التدبر في القرآن ليعرف معناه".

فإذا كانت الأمة الحمديّة هي خير الأمم كما قال سبحانه [كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ] ^(٢) فإن خير تلك الأمة وخاصة الخاصة فيها هم أهل القرآن. وقد نص الرسول ﷺ على تلك الخيرية في حديث لفظه صريح وسنده صحيح رواه عنه ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) ^(٣)

فهم خيار في الخيار، وهم خاصة الخاصة كما قال ﷺ في حديث آخر: " إن الله عز وجل أهلين من الناس" قيل: من هم يا رسول الله ؟ قال : (أهل القرآن، هم أهل الله وخاصته) ^(٤)

إن هذه الخيرية، وتلك الخصوصية لأهل القرآن لما يُغبطون عليه، ذلك لأن من آتاه الله القرآن ورزقه حبه؛ فإنه سيرقى معه إلى مرتبة عالية في العبادة عندما يتلوه ويقوم به. قال ﷺ: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار) ^(٥). وإنما يغبط على ذلك الذين يقيمون حروفه ويحفظون حدوده.

(١) سورة محمد : آية ٢٤.

(٢) سورة آل عمران : آية ١١٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٠٢٧) فتح الباري (٦٩٢/٨).

(٤) رواه ابن ماجة في سننه من حديث أنس بن مالك (٢١٥) (٧٨/١) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة (١٧٨) ورواه احمد في مسنده (١٢٧/٣، ١٢٨، ٢٤٢) والحاكم (٥٥٦/١).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٠٢٦) فتح الباري (٦٩١ /٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه (٨١٥) (٥٥٨/١) واللفظ له.

أما الذين يقيمون حروفه ولا يحفظون حدوده. فإن القرآن حجة عليهم لا لهم- نسأل الله العافية- فهؤلاء ليسوا عن العقاب بمنأى إن لم يتوبوا، أما الوعاة الحافظون للقرآن حروفاً وحدوداً فهؤلاء المعنيون بالأثر: (لا يعذب الله قلباً وعى القرآن) (١)

ولا بد لا اكتمال الوعي بالقرآن من تدبره، فبركة هذا الكتاب مودعة فيه كالكنوز، لا يستخرجها إلا المتدبرون. قال تعالى: [كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ] (٢)

قال الإمام البقاعي في تفسير هذه الآية "أي لينظروا في عواقب كل آية وما تؤدي إليه، وما توصل إليه من المعاني الباطنة، التي أشعر بها طول التأمل في الظاهر، فمن رضي بالاقتصار على حفظ حروفه كان كمن له لقحة درور (٣) لا يحلبها، ومهرة نتوج (٤) لا يستولدها، وكان جديراً بأن يضيع حدوده فيخسر خسراناً مبيناً" (٥) أما إذا أراد أن يفوز فوزاً عظيماً، فليكن ممن يتلونه حق تلاوته. قال تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُؤْتِيَهُمُ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ] (٦)

فالتجارة التي لن تبور هي الثواب الذي لا بد من حصوله (٧).

وهذا كله لا يكون إلا بالتدبر، قال ابن الجوزي- رحمه الله- :

(١) الأثر رواه الدارمي عن أبي أمامة الباهلي موقوفاً. (٣٣١٩) (٢/ ٥٢٤).

(٢) سورة ص : ٢٩.

(٣) اللقحة الدرور: الناقة الحلوب الغزيرة اللبن (لسان العرب). (٤٠٥٧/٥) مادة الفتح.

(٤) المهرة النتوج : أنثى الفرس الكثيرة الولادة. لسان العرب (٤٢٨٧/٦) مادة (مهر).

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (٣٣٧٥/١٦) دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.

(٦) فاطر: ٢٩، ٣٠.

(٧) تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير ابن كثير للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير (٥٣١/٦) طبعة دار الشعب.

" التدبر هو المقصود من القراءة، وإن لم يحصل التدبر إلا بترداد الآية فليردها، فقد روى أبو ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قام ليلة بآية يرددتها: **إِن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ^(١)

فالوقوف مع الآية وإعادة النظر فيها والتأمل لمعانيها مما يستشعر به المرء حلاوة القرآن، قال بشر بن السري: "إنما الآية مثل التمرة، كلما مضغتها استخرجت حلاوتها". فحدث بذلك أبو سليمان فقال: " صدق إنما يؤتى أحدكم من أنه إذا ابتداء السورة أراد آخرها" ^(٢)

إن للقرآن صحبة، فمن أحسن صحبة القرآن أحسن القرآن صحبته، أما من هجر القرآن فإن القرآن يهجره، فلا يرى له شوق إلى تلاوة كتاب الله كذلك الذي يجده كل حين الموصول بصحبة القرآن.

وصحبة القرآن تصحب العبد حتى تقوده إلى الجنة في درجاتها العالية.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارتنق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها)** ^(٣) فكهذا يرتفع القرآن بصاحبه إلى المعالي، المعالي، فيكون معه كالصاحب الصديق الرفيق الذي لا يرضى دون رضى صاحبه. وهذا المعنى يوضحه بالفاظ جليلة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه عنه بريدة رضي الله عنه ، قال : **(إن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول:**

(١) سورة المائدة: ١١٨.

(٢) البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي. تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم (٤٧١/١) دار التراث بالقاهرة.

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٦٤) (١٥٣/٢) والترمذي (١٩١٥) (١١٧/٨) وقال حسن صحيح وأحمد (٢: ١٩٢) والحاكم (١/ ٥٥٢) - (٥٥٣) وقال الذهبي صحيح كلهم من حديث عبد الله بن عمرو وأخرج ابن ماجة نحوه من حديث أبي سعيد الخدري (٣٧٨٠) (٢/ ١٢٤٢). وسنده فيه عطية العوفي وهو ضعيف لكن تابعه أبو صالح عن أبي سعيد عند ابن أبي شيبة (١٠/ ٤٩٨) / (١٠١٠٤) مثل لفظ حديث عبد الله بن عمرو. والحديث صححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٥٥/١١) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٣٠٠) وراجع الصحيحة (٢٢٤٠).

هل تعرفني، فيقول: ما أعرفك، فيقول: أنا صاحبك القرآن، الذي أظمأتك في الهواجر
وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر وراء تجارته، وإني لك اليوم من وراء كل تجارة .
فيعطي الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه
حُلِيَّتَيْنِ لا تقوم لهما الدنيا فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال : بأخذ ولدكما القرآن، ثم
يقال: أقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما كان يقرأ، هذا كان أو
ترتيلاً^(١)

وإذا كان هذا تكميم حامل القرآن في الآخرة، فإن هناك كرامة ينبغي أن تكون له في
الدنيا؛ قال رسول الله ﷺ : (إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل
القرآن غير الغالي فيه والجاافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط)^(٢)

إن صحبة القرآن لمن أحسنها شرف وأي شرف، فصاحب القرآن وحامله هو حامل
لواء الإسلام، كما قال الفضيل بن عياض^(٣) — رحمه الله: "حامل القرآن حامل راية
الإسلام، لا ينبغي أن يلغو مع من يلغو ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلهو مع من يلهو،
تعظيماً لله تعالى"^(٤)

(١) رواه ابن ماجة (٣٧٨١) (٢ / ١٢٤٢) وقال الألباني في صحيح ابن ماجة: يحتمل التحسين ح (٣٠٤٨) ورواه أحمد (٣٤٨/٥) والدارمي في سننه (٤٥٠/٢).

(٢) رواه ابن ماجة (٣٧٨١) (٢ / ١٢٤٢) وقال الألباني في صحيح ابن ماجة: يحتمل التحسين ح (٣٠٤٨) ورواه أحمد (٣٤٨/٥) والدارمي في سننه (٤٥٠/٢).

(٣) الفضيل بن عياض: أحد العباد الزهاد، والعلماء الأولياء، ولد بخراسان ثم استقر بمكة، بدأ شبابه قاطع طريق، ولكن الله تاب عليه بسبب آية سمعها بغير قصد {ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق} فقال : بلى . توفى سنة ١٨٧ هـ (البداية والنهاية ١٠ / ٢٠٦).

(٤) مختصر منهاج القاصدين : ٤٥ .

فهذا يستحق شرف حمل هذه الراية التي هي أشرف الرايات. قال تعالى : **[لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ]** ^(١) قال ابن عباس : فيه شرفكم ^(٢) وقال تعالى : **[وَأِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ]** ^(٣) يعني شرف لك ولهم إذا قاموا بحقه ^(٤)

وأخبر النبي ﷺ عن ارتفاع شأن أهل القرآن به فقال ﷺ : **(إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْقُرْآنِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ آخَرِينَ)** ^(٥)

ولابد لحامل راية الشرف تلك أن تكون له أحوال غير حال الناس. قال ابن مسعود **ﷺ** : " ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليته إذ الناس نائمون، وبنهاره إذ الناس مفطرون، وبجزنه إذ الناس يفرحون، وببكائه إذ الناس يضحكون، وبصمته إذ الناس يخوضون، وبخشوعه إذ الناس يحتالون" ^(٦) فهذه ضريبة الشرف التي يحملها حامل القرآن.

على أن حامل القرآن، عليه ألا يعجب بنفسه أو يغتر أو يتكبر على الخلق بما أكرمه الله به، قال تعالى : **[قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ]** ^(٧)

ولا يمنع شعوره بالتقصير من استشعاره للنعمة وذكره لها فإن ذلك من شكرها. فصاحب القرآن في نعمة لا تدانيها نعمة إذا كان من أهل العمل به. قال عمر بن

(١) سورة الأنبياء آية ١٠.

(٢) تفسير ابن كثير (٣٢٧/٥).

(٣) سورة الزخرف آية ٤٤.

(٤) تفسير الجلالين للإمامين: جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي ص ٥٩٩ دار الريان بالقاهرة.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٢٦٩) (٥٥٩/١).

(٦) صفة الصفوة. للإمام ابن الجوزي (١٧٢/١).

(٧) سورة آل عمران : آية ٧٣، ٧٤.

الخطاب ﷺ : " يا معشر القراء، ارفعوا رؤوسكم، فقد وضع لكم الطريق، فاستبقوا الخيرات، ولا تكونوا عيالاً على الناس" (١)

ولعلك ستسأل عن أفضل الوسائل لكمال الانتفاع بالقرآن، فجوابك في قاعدة جليلة جعلها ابن القيم على رأس الفوائد التي أوردتها - رحمه الله - في كتابه (الفوائد)؛ قال : " إذا أردت الانتفاع بالقرآن، فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه، منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ ، قال تعالى : [**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**] (٢) وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفاً على مؤثر مقتض، ومحل قابل، وشرط لحصول الأثر، وانتفاء المانع الذي يمنع منه، تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه وأدله على المراد. فقوله تعالى : [**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى**] إشارة إلى ما تقدم من أول السورة إلى هاهنا، وهذا هو المؤثر؛ وقوله [**لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ**] فهذا هو المحل القابل، والمراد به القلب الحي الذي يعقل عن الله. كما قال تعالى : [**إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ * لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا**] (٣) ، أي حي القلب. وقوله تعالى : [**أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ**] أي وجه سمعه وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له، وهذا شرط التأثير بالكلام، وقوله تعالى [**وَهُوَ شَهِيدٌ**] أي: شاهد القلب حاضر غير غائب. قال ابن قتيبة: استمع كتاب الله وهو شاهد القلب، والفهم، ليس بغافل ولا ساه، وهو إشارة إلى المانع من حصول التأثير وهو سهو القلب وغيابه عن تعقل ما يقال له والنظر فيه وتأمله.

(١) التبيين في آداب حملة القرآن ص ٢٨.

(٢) سورة ق آية ٣٧ .

(٣) سورة يس : آية ٦٩ ، ٧٠ .

فإذا حصل المؤثر — وهو القرآن — والخل القابل — وهو القلب الحي ووجد الشرط — وهو الإصغاء — وانتفى المانع — وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب وانصرافه عنه إلى شيء آخر — حصل الأثر، وهو الانتفاع والتذكر"^(١)

وليستعد المرء بعد ذلك للعمل والامتنال بعد أن أحسن التعلم والاستقبال، فإن العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه، وإلا ارتحل. قال في زاد المعاد: " قال بعض السلف : نزل القرآن ليُعمل به، فاتخذوا تلاوته عملاً، ولهذا كان أهل القرآن هم العالمون به، والعاملون بما فيه وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب، وأما من حفظه ولم يفهمه، ولم يعمل بما فيه، فليس من أهله، وإن أقام حروفه إقامة السهم"^(٢)

وهناك مشروع رمضاني مقترح يقوم على قراءة جزء يومياً من تفسير الشيخ السعدي. وقد جربت بنفسني قراءة الجزء من التفسير فكان وقتا يسيرا لكن بركته كبيرة.

ثالثاً: ثبت من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم التأكيد على قيام رمضان، وجاء في صحيح البخاري: " من قام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه" وكان رسول الله يُرغبُ في قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة، وجاء رسول الله رجل من قضاة فقال : يا رسول الله ! أ رأيت إن شهدتُ أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، وصليتُ الصلوات الخمس ، وصمت الشهر ، وقمت رمضان ، وآتيتُ الزكاة ؟ فقال رسول الله: "من مات على هذا كان من الصديقين والشهداء" صحيح الترغيب.

(١) الفوائد ، للإمام ابن قيم الجوزية ص ٣.

(٢) الفوائد ، للإمام ابن قيم الجوزية ص ٣.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بأهله وأصحابه القيام أحياناً، وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: (صمنا مع رسول الله رمضان، فلم يقم بنا شيئاً من الشهر، حتى بقي سَبْعُ فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل، فلما كانت السادسة لم يقم بنا، فلما كانت الخامسة قام بنا حتى ذهب شَطْرُ الليل، فقلت: يا رسول الله! لو نَقَلْتنا قيام هذه الليلة، فقال: (إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حُسِبَ له قيام ليلة، فلما كانت الرابعة لم يقم، فلما كانت الثالثة جمع أهله ونساءه والناس، فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفَلاح. قال: قلت: ما الفَلاح؟ قال: السحور، ثم لم يقم بنا بقية الشهر) ورَكَعَتَها إحدى عشرة ركعة، يقول الألباني في صلاة التراويح: "ونختار أن لا يزيد عليها اتباعاً لرسول الله، فإنه لم يزد عليها حتى فارق الدنيا، فقد سئلت عائشة — رضي الله عنها — عن صلاته في رمضان؟ فقالت :

ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعا فلا تسل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعا فلا تسل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثا.

وأما القراءة في صلاة الليل في قيام رمضان أو غيره ، فلم يَحُدَّ فيها النبي صلى الله عليه وسلم حداً لا يتعداه بزيادة أو نقص، بل كانت قراءته فيها تختلف قصراً وطولاً، فكان تارة يقرأ في كل ركعة قدر يا أيها المزمل وهي عشرون آية ، وتارة قدر خمسين آية، وكان يقول: (من قام بعشر آيات ؛ لم يكتب من الغافلين . ومن قام بمئة آية ؛ كتب من القانتين .

ومن قام بألف آية ؛ كتب من المقنطرين)

وقرأ صلى الله عليه وسلم في ليلة وهو مريض السبع الطوال، وهي سورة (البقرة)، و (آل عمران)، و (النساء)، و (المائدة)، و (الأنعام) ، و (الأعراف) ، و (التوبة) . وفي قصة صلاة حذيفة بن اليمان وراء النبي عليه الصلاة والسلام أنه قرأ في ركعة واحدة (البقرة) ثم (النساء) ثم (آل عمران) ، وكان يقرأها مترسلاً متمهلاً .

وثبت بأصح إسناد أن عمر رضي الله عنه لما أمر أُبَيُّ بن كعب أن يصلي للناس بإحدى عشرة ركعة في رمضان ، كان أُبَيُّ رضي الله عنه يقرأ بالمئين ، حتى كان الذي خلفه يعتمدون على العِصِي من طول القيام ، وما كانوا ينصرفون إلا في أوائل الفجر .
وصح عن عمر أيضاً أنه دعا القُرَاءَ في رمضان، فأمر أسرعهم قراءة أن يقرأ ثلاثين آية، والوسط خمساً وعشرين آية، والبطيء عشرين آية .

وعلى ذلك فإن صلى القائم لنفسه فليطول ما شاء ، وكذلك إذا كان معه من يوافقه ، وكلما أطال فهو أفضل ، إلا أنه لا يبالي في الإطالة حتى يُحيي الليل كله اتباعاً للنبي ووقت صلاة الليل من بعد صلاة العشاء إلى الفجر، لقوله: (إن الله زادكم صلاة، وهي الوتر فصلوها بين صلاة العشاء إلى صلاة الفجر)

والصلاة في آخر الليل أفضل لمن تيسر له ذلك لقوله: ((من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله، ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل، فإن صلاة آخر الليل مشهودة وذلك أفضل))¹

ومن صلت مع الإمام لا تنصرف حتى ينصرف الإمام ليكتب لها قيام ليلة، وفي الترمذي من حديث أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنه من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة" وصححه الترمذي.

رابعاً: الكرم على وجه العموم، والصدقة على الخصوص، وقد ثبت في البخاري: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة"

ومعنى أجود الناس: أكثر الناس جوداً، والجود الكرم، وهو من الصفات الحمودة. وقد أخرج الترمذي من حديث سعد رفعه: "إن الله جواد يحب الجود"

والمرسلة أي: المطلقة يعني أنه في الإسراع بالجود أسرع من الريح، وعبر بالمرسلة إشارة إلى دوام هبوبها بالرحمة، وإلى عموم النفع بجوده كما تعم الريح المرسلة جميع ما

¹¹ انظر ماتقدم في صلاة التراويح للألباني رحمه الله.

تعب عليه. ووقع عند أحمد في آخر هذا الحديث: "لا يسأل شيئا إلا أعطاه" وثبتت هذه الزيادة في الصحيح من حديث جابر " ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فقال لا"

فإن سأل سائل: لما زاد عطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان؟ فالجواب: "الحكمة فيه أن مدارس القرآن تجدد له العهد بمزيد غنى النفس، والغنى سبب الجود، والجود في الشرع: إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي، وهو أعم من الصدقة. وأيضا فرمضان موسم الخيرات، لأن نعم الله على عباده فيه زائدة على غيره، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يؤثر متابعة سنة الله في عباده. فبمجموع ما ذكر من الوقت والمنزول به والنازل والمذاكرة حصل المزيد في الجود. والعلم عند الله"¹
قال النووي: في الحديث فوائد منها:

الحث على الجود في كل وقت، ومنها الزيادة في رمضان وعند الاجتماع بأهل الصلاح. وفيه زيارة الصلحاء وأهل الخير، وتكرار ذلك إذا كان المزور لا يكرهه، واستحباب الإكثار من القراءة في رمضان وكونها أفضل من سائر الأذكار، إذ لو كان الذكر أفضل أو مساويا لفعلاه.

وأخرج الترمذي من حديث أنس قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الصوم أفضل بعد رمضان؟ فقال: شعبان لتعظيم رمضان، قيل: فأي الصدقة أفضل؟ قال: "صدقة في رمضان"

ورمضان شهر التقوى، وإخراج الصدقات صفة من صفات المتقين: "هدى للمتقين الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون" وقوله: " (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ"

¹ فتح الباري (٣١/١)

وثق أنك ما أنفقت نفقة إلا أخلف الله عليك خيرا منها، (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ" وقوله: "مثل الذين يُنفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم" (٢٦١) الذين يُنفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٢٦٢)) البقرة وفي البخاري عن رسول الله: " ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً" فاستشعر دعاء الملك لك إذا أنفقت .

وتأمل ما صح عن رسول الله: " من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل" رواه البخاري ومسلم و" وفي رواية لابن خزيمة: "إن العبد إذا تصدق من طيب تقبلها الله منه وأخذها بيمينه فربها كما يربي أحدكم مهره أو فصيله، وإن الرجل ليتصدق باللقمة فتربو في يد الله أو قال في كف الله حتى تكون مثل الجبل فتصدقوا" وعن عائشة رضي الله عنها أنهم ذبحوا شاة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما بقي منها قالت ما بقي منها إلا كتفها قال بقي كلها غير كتفها" رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح والصدقة فكاك المؤمن من النار، وفي الحديث: " ليق أحدكم وجهه النار ولو بشق تمرة " رواه أحمد بإسناد صحيح، فأكثر من النفقات في رمضان.

خامسا: حافظ على أذكار الصباح والمساء لا سيما قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، تأمل: " فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى " وقوله: "فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب (٣٩) ومن الليل فسبحه وأدبار السجود (٤٠) وقوله: " ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه "

والحق بركب الذاكرين الله كثيرا [وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا] ^(١) قال ابن عباس رضي الله عنه . المراد : "يذكرون الله في أدبار الصلوات وغدواً وعشياً ، وفي المضاجع، وكلما استيقظ من نومه وكلما غدا أو راح من منزله، ذكر الله تعالى" ^(٢)

وليس شئ يقوي على طاعة الله كالمحافظة على ذكر الله، وفي كتاب الله { فاذكروني أذكركم } يقول ابن القيم: ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفاً وقال صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى [من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم] والذكر يورث حياة القلب يقول ابن القيم: وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله تعالى روحه يقول : الذكر للقلب مثل الماء للسّمك فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء . فاحرص على الاستزادة من العمل الصالح بمداومة ذكره سبحانه، والله يقول: "اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم" وقوله: " وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ "

سادسا: أكثر من الدعاء، ولا تحمل هم الإجابة، فقد تكفل الله لمن تعرض إليه أن يعطيه سؤله وزيادة. قال تعالى: [وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ] {البقرة: ١٨٦} . إذن سرعة إجابة دعوة من رفع يديه إلى السماء. فوعده حق وقوله صدق.

هذا جواب سؤال، سأل النبي بعض أصحابه فقالوا: يا رسول الله أقرب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فنزل: [وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ] لأنه تعالى الرقيب

(١) سورة الأحزاب : آية ٣٥ .

(٢) الأذكار للإمام النووي - تحقيق على الشوربجي وقاسم النوري ص ٣٥ مؤسسة الرسالة.

الشهيد، المطلع على السر وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فهو قريب أيضاً من داعيه بالإجابة ولهذا قال: **[أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ]**.

وقد تقدم الإشارة إلى فضل الدعاء ، وأحرى أوقاته بالإجابة.

سابعاً: رمضان موسم العفو :

اكتظت محلات المواد الغذائية بالمبتاعين لاقتناء أصناف المطعومات والمشروبات استعداداً لاستقبال رمضان ، وزاد زوار المواقع الالكترونية المعتنية بالطهي من قبل السيدات ، واختلفت استعدادات الناس لاستقبال هذا الشهر الكريم ، وفي خضم هذا كله نسينا أو تناسينا الالتفاتة إلى ما نحمله بين أضلعنا والعناية بطبه ، إذ أنه ليس للمرء أروح ولا أطرده للهموم ولا أقر للعين من أن يعيش سليم القلب مبرأ من وسواس الضغينة ، وثوران الأحقاد ، إذا رأى نعمة تنساق إلى أحد رضي بها ، وأحس فضل الله فيها ، وفقر عباده إليها ، وذكر قول رسول الله : **" اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر "** فيصبح ولسانه يشكر نعم الله عليه وعلى إخوانه المسلمين ، وإذا رأى أذية لحقت مسلماً حزن لحزن أخيه إذ أنه له كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحوى والسهر ، وبذلك يحيا المسلم ناصع الصفحة ، نقي القلب ، مشرق الروح ، مستريحاً من نزعات الحقد الأعمى ، لأن الحقد والغل داء عضال يردي القلب طريقاً بالمرض بل قد يقتله ، وتأمل حال النبي الذي حكى عنه نبينا أنه ضربه قومه حتى أدموه ، فجعل يسلت الدم عنه ، ويقول : **" اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون "** كيف جمع في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان قابل بها إساءتهم العظيمة إليه ، أحدها : عفوهم عنهم ، والثاني : استغفاره لهم ، والثالث : اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون ، والرابع : استعطافه لهم بإضافتهم إليه ، فقال : **" اغفر لقومي "** كما

يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به : هذا ولدي ، إن سلامة القلب في الدنيا كفيلة بسلامة البدن الذي يحوي هذا القلب في يوم الكرب الطويل " يوم لا ينفع مال ولا بنين إلا من أتى الله بقلب سليم " وسئل رسول الله : أي الناس أفضل ؟ قال : " كل مخموم القلب صدوق اللسان " قيل : صدوق اللسان نعرفه ، فما مخموم القلب ؟ قال : " هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد " ولربما عجز الشيطان أن يجعل من الرجل العاقل عابد صنم ، ولكنه لن يعجز عن ضرب القلوب واختلاف الكلمة وإيقاع العداوة والبغضاء ، وفي الحديث " إن الشيطان قد يبس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ، ولكنه لم يبأس من التحريش بينهم " فيخسر المتخصمان ويربح الشيطان في إيقاع العداوة والبغضاء ، بل إن صوم العبد وصلاته وقيامه وما يعمل من صالح الأعمال عند رأسه لا يرفع لربه مادام أنه قد هجر مسلما أو خاصمه ، وعند أبي داود بسند صحيح أن رسول الله قال : " تفتح أبواب الجنة كل يوم اثنين وخميس فيغفر في ذلك اليومين لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا من بينه وبين أخيه شحناء ، فيقال : انظروا هذين حتى يصطلحا " فانظر إلى أثر الخصومة إذا تفرعت أشواكها شلت زهرات الإيمان الغض ، ولم يعد في أداء المفروضات خير ، إن المحبة والاجتماع رحمة ، والتنافر والفرقة عذاب " ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك " فالمرحمون مجتمعون على الخير ، نقية قلوبهم ، مرتاحة ضمائرهم ، تقوم علاقتهم على عواطف الحب المشترك ، والود الشائع ، والتعاون المتبادل ، والمجاملة الرقيقة لا مكان عندهم للفردية المتسلطة ، يقول تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) فانظر إلى الآصرة الوثيقة التي تربط أول هذه الأمة بآخرها ، وآخرها بأولها في تضامن وتكافل وتواد وتعاطف ، وشعور بوشيجة القربى العميقة التي تتخطى الزمان والمكان والجنس والنسب ، وتتفرد وحدها في القلوب ، تحرك المشاعر خلال القرون

الطويلة ، فيحمل المؤمن لأخيه الحب حيا وميتا ، ويدعو له ، ويسأل الله أن ينقي قلبه من الغل ، هذه هي قافلة الإيمان ، وهذا دعاء المؤمنين ، فأنعم بالقافلة ، وأكرم بدعائهم ، إن رمضان فرصة عظيمة ومشروع كبير لالتفاتة إلى القلوب وتنقيتها ، ووصل ما أمر الله به أن يوصل ، وفي ذلك الأجر العظيم ، وفي الحديث : " ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة " قالوا : بلى . قال : " إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هو الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين " أدام الله على قلوب المؤمنين الصفاء والنقاء ، وألف بين قلوبهم ، وأظهر أمرهم ، وجمع كلمتهم .

أسأل الله أن يتقبل منك الصيام والقيام، وأن يجمعني بك في الفردوس الأعلى.